**المسرحية الواقعية في الجزائر: الهارب للطاهر وطار –أنموذجا-**

تعدّ مسرحية الهارب من المسرحيات الاجتماعية التي تطمح على التعبير عن مضمون اجتماعي مستوحى من الواقع، للحث على تغيير المجتمع وتصفيته من المشكلات الاجتماعية. وقد سعى المؤلف لمعالجة هذه الموضوعات في قالب مسرحي، يتّسم بالمقومات الفنية الآتية:

**موضوع المسرحية:** إن الموضوع الرئيس الذي تطمح المسرحية لتحقيقه، يتّسم بالطابع السياسي والاجتماعي، يقوم على تصوير تفسّخ الطبقة البورجوازية وانهيار نظامها المتعفّن، من خلال صراعها مع القوى الشعبية في المجتمع (الثورة التي تدعو إلى التغيير) التي تهدف إلى تحريره من الهيمنة والاستغلال، وتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة، باتخاذ الاشتراكية نظاما اجتماعيا سياسيا بدل البورجوازية الظالمة.

**الصراع الدرامي:** ترتبط المسرحية بالواقع ارتباطا وثيقا، وتمثل المرحلة التاريخية التي كان يجتازها المجتمع تمثيلا صادقا، وتجلي ما يعجّ به المضمون من قضايا تمسّ الواقع مباشرة، فهي تكشف عن العلاقات المتناقضة القائمة على الصراع الطبقي، الذي يتجلى في الصدام بين **توفيق** الاشتراكي و**إسماعيل** البورجوازي. فيحاول الأول التصدي له والانتقام منه؛ لأنه يرى فيه إنسانا مستغلا ينبغي القضاء عليه.

 ويوجد، إلى جانب هذا الصراع الخارجي، صراع آخر داخلي، مثّل الجوهر في هذه المسرحية، ويتمثّل في صراع **إسماعيل** مع **أناه**، ذلك الشبح الذي يتخيّله ويحاوره ويكاد يكون مسؤولا عن كل تصرفات الشخصية وسلوكها. يقوم هذا الصراع الداخلي بين الحياة والموت؛ بين إصرار الشخصية المحورية على الانتحار تخلّصا من معاناتها، أو تمسّكها بملذات الحياة ومتاعبها، ويتجلى ذلك في سلوك البطل السلبي الذي لا يستطيع إنجاز شيء سوى الاضطراب في المواقف، والتهور في التصرفات، نظرا إلى عجزه عن المواجهة.

**الشخصيات:** تنقسم الشخصيات في هذا العمل إلى:

**أ- الشخصيات المحورية:** هي شخصية **إسماعيل** التي أولاها المؤلف عناية كبيرة في الرسم والتصوير، باعتباره يمثل جانب البطولة في هذا العملومركز الثقل التي تدور حوله الحداث وتقوم عليه. فالمسرحية تصور البطل شابا، وسيما، مثقفا، له من المزايا ما يجعله يستهوي القلوب، إضافة إلى أنه وريث الغنى والجاه، وبهذا يتحدد الانتماء الطبقي للشخصية وإطارها الاجتماعي؛ فـ**إسماعيل** إنسان بورجوازي يمثل طبقته بكل أبعادها، إضافة للبعد النفسي للشخصية المنعكس من خلال تصرفاتها.

**ب- الشخصية الأساسة:** تتمثل في شخصيتي توفيق وصفية، كونهما يأتيان في المرتبة الثانية ويشاطران إسماعيل في البطولة:

**- شخصية توفيق:** تعد هذه الشخصية بما تمثله من أبعاد شخصية مقابلة للبطل، باعتبارها الطرف الثاني في الصراع، وقد رسمها المؤلف بدقة وإيجاز، مركزا على مقوماتها، كاشفا عن ولعها بالنضال السري، وحقدها على إسماعيل، ثم استعدادها للتضحية من أجل مصلحة الوطن، فهو شخصية تمثل فئات الشعب الكادحة التي اختارت طريق النضال الاشتراكي، بغية القضاء على البورجوازية التي تجسد مرضا ينبغي استئصاله من المجتمع، كونها قطاعا استغلاليا.

**- شخصية صفية:** هي شخصية ضعيفة وعاجزة عن اتخاذ القرارات، تجمع بين رمز الاستغلال والحقيقة؛ أما الاستغلال فهي ضحية من ضحايا السلوك البورجوازي الذي حولها إلى عاهرة تلفّ البيوت انسياقا للمادة، أمّا الحقيقة فهي كون الفتاة تمثل صورة لكل أنثى تعاني إذلالا وظلما في كرامتها.

**ج- الشخصيات الثانوية:** تمثلها شخصية **مدير السجن، ابنته راضية، زوجها، الخادمة...** وتنحصر مهمتها في تقديم الأبطال والكشف عنهم، وفي الربط بين الأحداث خلال الفعل الدرامي.

**د- الشخصية المعارضة:** تنطوي على شخصيتي توفيق وأنا البطل، ذلك الشبحالذي يخيّل إليه، فيحاوره ويصدّه عن الانتحار عند إطلاق الرصاص على رأسه، ويتدخل لاتهامه بالجبن والعجز عندما يعجز البطل عن تنفيذ ما اعتزمه.

**الحوار:** تسهم لغة الحوار المحكمة البناء في المسرحية في الكشف عن ماضي الشخصية وحاضرها، وعن مكوناتها الفكرية والاجتماعية والنفسية، وعن الجوانب التي أذكت الصراع، يتجلى ذلك من خلال الحوار الذي دار بين صفية وإسماعيل في الفصل الرابع قبل إقدامه على الانتحار؛ إذ سرعان ما يتحوّل ذلك الحوار إلى صراع، ليكشف حقيقة إنسانية عامة، هي ضعف الإنسان وعجزه في مواجهة ذاته.

**الحبكة/ العقدة:** تتسع في هذا البناء، فهي مزاوجة بين قصتين تتقاطعان لتشكّلا الحدث الرئيس لهذا العمل، وهي قصة إسماعيل البورجوازي الاستغلالين وقصة توفيق الاشتراكي النضالي.

**المكان:** تعتمد المسرحية التلوين في المكان الذي تمثله مناظرها المختلفة؛ حيث تجري أحداثها بين: الزنزانة، ومكتب المدير، وبيت إسماعيل، والمقبرة، والمحكمة...

**الزمان:** من الطبيعي أن يمتد هو الآخر ليشمل حيزا كبيرا، فهو يزيد عن المدة الزمنية التي قضاها إسماعيل في السجن، ابتداء من شروعه في الانتحار للمرة الأولى، ومحاكمته لرفضه الزواج من صفية، فارتكابه الجريمة، ثم إقدامه على الانتحار.

**العرض:** يبدأ من الفصل الأول من المسرحية، قدّم فيه المؤلف معالم الشخصية والعديد من الصفات التي تحدد أبعادها، وتكشف عن دوافع تصرفاتها، فلا يكاد ينتهي الفصل الأول حتى ندرك سبب إصرار إسماعيل على الانتحار، وطبيعة كفاحه ضدّ المبادئ المعادية له في الحياة (الاشتراكية ومبادئها).

**النهاية/ الحل:** إذا كان الصراع وسيلة درامية تعمل على تصاعد الحدث إلى نهايته، فقد شكّل النهاية المأساوية للمسرحية؛ حيث كان ردّ فعل إسماعيل قويا عند اعتزامه الانتحار، بدافع اختصار الطريق، بعد ان اكتشف أن الهروب من السجن خدعة ضحك بها على نفسه.

وخلاصة القول، إن المسرحية بهذا الشكل تظل عاجزة عن الوصول إلى هدفها النهائي؛ حيث تتحول دعوة الكاتب إلى ثورة يُتغنى فيها بدور المناضل الثوري توفيق ويشيد بانتصاره، بينما يلجأ إلى نقد سلوك إسماعيل بأسلوب ساخر جريء، سعيد بنهايته، لكن تلك الثورة تظل قائمة في النهاية على نظرة حالمة متفائلة بالنهاية.